

قصيدة : قلوب خضراء، ونيران حمراء

رَبِّاهُ يَا سَكْنِي، وَقِرَّةَ خَافِقِي
مَاذَا أَصَابَكَ يَا قَرَارَةً، فَاسْتَحَالَ
كُنْتُ الْقَرِيرَةَ فِي الْعُيُونِ وَفِي النُّفُ
الْأَمْنُ حَارِسُكَ الْأَمِينُ وَحُرْمَةُ الـ
حَتَّى إِذَا انْقَضَ الْجَنَاءُ، وَشَاءَ رَبُّ
فَإِذَا الْأَمَانُ بَلِيَّةٌ، وَإِذَا الْجَمَاءُ
يَرْعَاكَ يَا حَسَنَاءُ، رَبُّ حَافِظُ
تَبَّتْ يَدَا مَنْ أَشْعَلَ النَّيِّرَانَ فِيكَ
لَا دِينَ يَرْدَعُ، لَا ضَمِيرَ، وَلَا أَصَا
يَا مَنْ أُصِيبَ بِمَالِهِ، أَوْ مَنْ أَهِنَ
فَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى
لَا تَجَزَّعُوا لِجِرَاحِكُمْ، لَا تَقْنَطُوا
الْمَالُ يَفْتَمِي، وَالْمَصَائِبُ جَمَّةٌ
وَالْعَادِلُ الدِّيَانُ لَيْسَ بِغَافِلٍ
إِنَّ الَّذِي أَعْطَاكَ أَمْسٍ هُوَ الَّذِي
لُدَّ بِالْغَنِيِّ، أَلَمْ يُنْلِكَ عَطَاءَهُ
فَإِذَا ابْتَلَكَ الْيَوْمَ فَاحْمَدَ فَضْلَهُ
وَاسْلَمْ، فَدَيْتُكَ، لَسْتُ أَوَّلَ مُبْتَلَى
فَلَكُمْ أُصِيبَ الْمُحْسِنُونَ لِحِكْمَةٍ
لَمْ يَسْلُبُوكَ، وَفَيْضُ رَبِّكَ وَاسِعٌ
مَا الدَّارُ إِنْ هُدِمَتْ، وَكَانَتْ بَلَقْعًا
الدَّارُ، قَلْبُكَ عَامِرٌ بِالْخَيْرِ وَالـ
فَاجْعَلْ مُصَابِكَ فِي الْحَيَاةِ وَسِيلَةً

أَرْثِيكَ إِذْ ضَاقَ الْفَضَا وَالْمَذْهَبُ
جَمَالُكَ الْأَخَّادُ أَشْوَهُ يُنْذَبُ؟
وَسِ، عَرُوسَةَ الصَّحَرَاءِ حُسْنُكَ
قُرْآنِ، سُورُكَ فِي الْحَوَادِثِ يَحْجُبُ
لَكَ أَنْ يَخُونَ الْعَهْدَ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ
لِ مُصِيبَةٍ، وَالْخَيْرُ قَفَرُ سَبَسَبُ
بِالذِّكْرِ وَالشُّكْرِ الْجَمِيلِ يُرَاقِبُ
فَرَوْعَ السُّكَّانِ ذُنُوبُ أَجْرَبُ
لَهُ لِلْحَضَارَةِ وَالْمَكَارِمِ تُنْسَبُ
بِنَفْسِهِ، الصَّبْرُ نِعَمَ الْمَكْسَبُ
فِيهَا السَّلَامَةُ وَالْخَلَاصُ الطَّيِّبُ
فَاللَّهُ يَشْفِي وَحُدَّهُ وَيُطَيِّبُ
وَالظُّلْمُ يَفْرِي الظَّالِمِينَ وَيَنْكَبُ
إِنْ خَانَ شُرْطِي وَرَاوَعَ ثَعْلَبُ
يُعْطِيكَ إِنْ نَهَبَ الْجَنَاءُ وَخَرَّبُوا
وَأَتَاكَ بِالْأَزْزَاقِ، غَمْرُ صَيِّبُ؟
فَالْخَيْرُونَ مِنَ الْبَلِيَّةِ أَقْرَبُ
فَالْمَالُ عَارِيَّةٌ يَجِيءُ وَيَذْهَبُ
وَتَجَزَّعُوا مِنْ كَأْسٍ مَا لَمْ يَشْرَبُوا
مَا دَامَ قَلْبُكَ بِالْمَحَبَّةِ أَرْحَبُ
تَجْرِي بِسَاحَتِهَا الرِّيحُ وَتَلْعَبُ
أَوْبَاشُ كَالْأَفْعَى تَسْمُ وَتَهْرُبُ
لِلْإِزْتِقَاءِ، يَطِبُّ لِسَعْفِكَ مَكْسَبُ

وَاسْتَقْرَأِ الْأَحْدَاثَ، فِي غَسَقِ الدُّجَى
لَا تَأْمَنْ شَرَّ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ..
أَسْفَاهُ! تِلْكَ خَسِيسَةٌ فِي طَبْعِهِمْ
إِنْ يَأْكُلُوا بَطَرُوا، وَسَلْ وَاحَاتِنَا
أَوْ يَسْغَبُوا انْتَقَمُوا، وَسَلْ صَحْرَاءَنَا
كَمْ جَرَدُوا، كَمْ أَتْلَفُوا، كَمْ قَتَلُوا
أَيْنَ الْحَمِيَّةُ؟ أَيْنَ أَخْلَاقُ الْأُلَى؟
نَقَّاهُمُ الْإِسْلَامُ أَفْضَلَ أَمَّةٍ
وَإِذَا دَعَاهُمْ مُعْسِرُ لُبُّوا النَّدَا
حَقَّ الْجَوَارِ أَمَانَةٌ مُثْلَى يُقَدِّ
مَا بَالُهُمْ، يَا وَيْحَهُمْ، رَكِبُوا الْجَهَا
مَا بَالُهُمْ شَحَنُوا الضَّغَائِنَ عَنْوَةً
هُمْ أَضْرَمُوهَا فِي النَّفُوسِ فَأَخْرَقَتْ
عَرَقُ الْفَقِيرِ رَمَادُهُ يَشْوِي الْجَنَّا
وَعَدَا بِدَارِ الْحَقِّ يَأْتِي شَاهِدًا
"فَاضْرَعْ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ
وَاحْذَرِ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا

بَذَرُ يُنِيرُكَ أَوْ يُطَالِعُ كَوَكَبُ
أَبَدًا يَخُونُ -إِذَا أَمِنْتَ- وَيَكْلَبُ
وَسَلِ الزَّمَانَ يُرِيكَ مَا هُوَ أَعْجَبُ
كَمْ نَخَلَةٍ جَدُّوا، وَأُخْرَى تُهَبُ
كَمْ مِنْ بَرِيءٍ فِي الْقَوَافِلِ أَرْعَبُوا
وَاسْأَلْ قُبُورًا فِي الْبَرِيَّةِ تُعْرِبُ
يَفْدُونَ جَارَهُمْ إِذَا مَا اسْتُرْهِبُوا
بِالشَّرْعَةِ السَّمْحَاءِ، لَمْ يَتَعَصَّبُوا
لَمْ يُثْنِهِمْ -عِنْدَ الْمُصِيبَةِ- مَذْهَبُ
سُهَا الْكِتَابُ، وَلَيْسَ عَنْهَا مَهْرَبُ
لَهُ، فَاسْتَبَاحُوا، وَهِيَ بِئْسَ الْمَرْكَبُ
فَتَفَجَّرَتْ كَقُلُوبِهِمْ تَتَلَهَّبُ
بِالنَّارِ أَمْوَالًا تُعَزُّ وَتُوَهَّبُ
ةً، وَرَبُّكَ الْقَيُّومُ ثَمَّةٌ يَحْسِبُ
لِشَهِيدٍ قَوْمٍ بِالْعَدَالَةِ يَطْلُبُ
يَدْعُوهُ، مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُحْجَبُ" (1)

أربعون بيتا:

الراجي عفوريه:د. محمد صالح ناصر

الأبيار، الجزائر: الخميس 07 ربيع الأول 1435هـ

09 جانفي 2014م

(1) البيتان الأخيران للشاعر العباسي المعروف صالح بن عبد القدوس.